الباب الثاني والستون

في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابةٌ من فوقهم ، فتمطر عليهم طيباً لم يجدوا مثلَ ريحه قَطُّ[1] .

وقال بقية بن الوليد : حدثنا بُحير بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرّة قال : « إنّ من المزيد أن تمرَّ السحابةُ بأهلِ الجنة، فتقول : ماذا تريدونَ أنْ أمطركم ؟ فلا يتمنونَ شيئاً إلا مطروا »[2] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أزهر بن مروان، حدثنا عبدالله بن عبدالله الشيباني، عن عبد الرحمن بن بديل، عن أبيه، عن صفي اليماني، قال : سأله عبد العزيز بن مروان، عن وفد أهل الجنة قال : إنَّهم يفدونَ إلى الله سبحانه كلَّ خميس فيوضع لهم أسرَّة، كلُّ إنسانٍ منهم أعرف بسريره منك بسريركَ هذا الذي أنت عليه، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال [الله] تعالى : أطعموا عبادي وخلقي وجيراني ووفدي، فيطعموا ثم يقول : أسقوهم . قال : فيأتون بآنية من ألوانٍ شتى مجتمعة فيشربون منها . ثم يقول : عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا ، فكّهوهم، فتجيء ثمرات شجر مدلاة . فيأكلون منها ما شاؤوا، ثم يقول : عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكّهوا ، أكسوهُم ، فتجيء ثمرات شجر أخضر وأصفر وأحمر، وكلّ لون لم تنبت إلا الحلل، فينشر عليهم حللاً وقُمصاً ، ثم يقول : عبادي وخلقي

---

(١) تقدم ص٣٣٨ ت (١) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٤٠) بألفاظ متقاربة .

وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكّهوا وكُسوا ، طَيِّبوهم ، فيتناثَرُ عليهم المسلك مثلَ رُذاذِ المطر .

ثم يقول : عبادي وجيراني وخلقي ووفدي قد طَعموا وشربوا وفَكهُوا وكسوا وطيِّبُوا لأتجلينّ لهم حتى ينظروا إليَّ ، فإذا تجلّى لهم فنظروا إليه ؛ نَضِرتْ وجوهُهم ، ثم يقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم ، فتقول لهم أزواجهم : خرجتم من عندنا على صورة ، ورجعتم على غيرها ؟ فيقولون : ذلك أنَّ الله جلَّ ثناؤه تجلَّى لنا فنظرنا إليه ، فنضِرَتْ وجُوهُنَا .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا إسماعيل بن عياش ، قال حدثني ثعلبة بن مسلم ، عن أيوب بن بشير العجلي ، عن شُفي بن ماتع الأصبحي أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ من نعيمِ أهلِ الجنةِ أنَّهم يتزاورونَ على المطايا والنجب ، وأنهم يؤتون في الجنةِ بخيل ملجمةٍ مسرجةٍ لا تروث ولا تبول ، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله ، فيأتيهم مثلُ السحابةِ فيها ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أذنٌ سمعتْ ، فيقولون : أمطري علينا فما يزالُ المطرُ عليهم حتى ينتهيَ ذلك فوق أمانيهم ، ثم يبعثُ الله ريحاً غير مؤذية فتنسفُ كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقِها وفي رؤوسهم ، ولكلِّ رجلٍ منهم جمةٌ على ما اشتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجِمام . وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله ، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك : يا عبدَ الله أما لك فينا حاجة ؟ فيقول : ما أنت ، ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحِبّك . فيقول : ما كنت علمت بمكانك ، فتقول المرأة : وما تعلم أنَّ الله تعالى قال : ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة : ١٧] فيقولُ : بلى وربِّي فلعلّه يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعينَ خريفاً ، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النّعيم »[1] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٣٩) .

فصل

وقد جعلَ الله سبحانه السّحابَ وما يمطره سبباً للرحمة والحياة، في هذه الدار، وبجعله سبباً لحياةِ الخلقِ في قبورهم، حيث يمطر على الأرض أربعين صباحاً مطراً متداركاً من تحتِ العرش، فينبتون تحت الأرضِ كنبات الزرعِ، ويبعثون يوم القيامة والسماء تَطِشُّ[1] عليهم، وكأنّه ـ والله أعلم ـ أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا، ويثير لهم سحاباً في الجنة يمطرهم، ما شاؤوا من طيب غيره، وكذلك أهل النار ينشئُ لهم سحاباً يمطِرُ عليهم عذاباً إلى عذابهم، كما أنشأ لقوم هودٍ وقومِ شعيبٍ سحاباً أمطرهم عذاباً أهلكهم، فهو سبحانه ينشئه للرحمةِ والعذابِ.

---

(١) الطش: المطر الضعيف، فوق الرذاذ.

obeikandl.com